يصعب اعطاء تفسير واضح لهذه القصة. لكن يهوشع أوضح عقدة الذنب التي تكتنف المثقف اليهودي الذي لم يستطع الّا ان «يتواطأ» مع العربي لاشعال الغابة والاطلاع على بقايا القرية. فالعربي يلازمه حنين دائم للحفاظ على قريته مع عجز الشاب اليهودي عن تقبّل الواقع كما هو. فالطرفان مأزومان؛ لكن الضحية تختلف عن الجلاد اختلافاً كبيراً. واحدى نقاط ضعف، او قوة، هذه القصة هي انها لا تشير الى ضحية واحدة، وانما رأت الطرفين ضحيتين، وهذا ما لا نوافق عليه طبعاً. فالشاب اليهودي، الى حدّ بعيد جداً، هو ضحية أزمة فردية نفسيّة ألمّت به، بينما العربي هو ضحية الوضع السياسي عامة؛ لكنهما التقيا عند نقطة واحدة، هي انهما يعيشان أزمة كبيرة، وتمخّضت هذه الأزمة عن فعل مشترك مدمّر.

لقد كتب يهوشع هذه القصة في فترة الستينات. وهي تشير الى ان العربي صاحب حق لا جدال عليه؛ كما انها تشير الى عمق الازمة التي يعيشها يهوشع: كيف نتعامل مع صاحب الحق السابق؟ من الواضح ان ذلك يتمّ على حساب الشخصية اليهودية السلبية في القصة. ومهما حاول النقّاد والمتأدّبون ان يتعاملوا مع شخصية الشاب اليهودي بحياد، الّا ان بصمات يهوشع الشخصية، والنفسية، والجوهرية، انعكست عليه، وحتى انه لواضح، في أحيان، وعلى الرغم من يهوشع نفسه، ان الكاتب كان «يُسْقِط»، في احيان، على بطله ما يعاني هو منه.

بالطبع، لن ندرس هنا تأثيرات القاص في بطله. لكن الموضوع، بحد ذاته، في هذه القصة، يستلفت الانتباه: حاول يهوشع ان يبتعد من بطله المأزوم؛ لكن الاسقاط عليه واضح في كثير من الاحيان. والقصة تقرأ على عدة مستويات: المستوى السياسي العام، والمستوى النفسي، والمستوى الفكري. لذا نرى ان هذه القصة، بالذات، كانت عبارة عن كبسولة لتفجّر عالم يهوشع على نحو واضح: أين تكمن المصالحة في كل هذا الوضع؟ وما هو موقف العربي؟

ومهما اختلفنا مع يهوشع في طروحاته الفكرية، والادبية، الّا اننا نسجّل لصالحه نقطة هامّة، هي انه كان سبّاقاً الى تناول قضية العربي على نحو جاد وانساني. وأكثر ما يدلّل على ذلك هو تناقضاته الادبية الواضحة.

«في مطلع صيف ١٩٧٠»

في نوفيلا «في مطلع صيف ١٩٧٠»[٨]، اهتم يهوشع بتسجيل حالة الفرد في معمعة الحرب. والنوفيلا تشكّل رؤية للوضع الاسرائيلي من خلال شخصية أب (الجيل القديم المتعب الذي حاول فحص، ودرس، كل شيء، وحتى اعادة النظر به)، والابن الذي يمثّل الجيل الجديد، يحمل روحاً تجديدية وتغييرية.

فخلال حرب الاستنزاف أخبر مدير المدرسة، المعلّم العجوز، بأن ابنه أُردِيَ قتيلاً. فخرج الختيار من المدرسة وتوجّه الى القدس، ليتعرّف الى الجثة، وليعلم كنّته الاميركية بالخبر. وفي المستشفى، تبيّن له ان الجثة ليست جثة ابنه. وذهب الختيار الى الموضع الذي يعسكر فيه ابنه، فألفى ابنه حيّاً، وسالماً. هذه هي حبكة النوفيلا. وكما نرى، فانها لا تعدو كونها حبكة بسيطة (حتى ميلودرامية). لكن يهوشع وظّف طاقات كبيرة في المزج بين الواقعي واللاواقعي والتفاصيل العديدة، ليدين عالم الحرب الذي يخرج الافراد عن اطوارهم، ويؤدي الى كثير من القلق، والتمزّق. فالأب، كما هو واضح لنا، ختيار يقف على عتبة التفرّغ من العمل، لكنه رفض ذلك، بسبب حرب الايام الستة. ونلاحظ انه بعد ان